امْرَأَةُ الخَمْسِينَ

{خواطر}

فِكْرَة :

سُعَاد بنْت حَسَن غديرة

أَعَدَّهَا للنَّشْرِ :

الأُسْتَاذُ محمد فريد بن لحسن المجادي

تَصْدِيرٌ للنَّاشِرِ

لا تُخْطئُ العَينُ بمقلَتَيْهَا في البَصيرة بالمَلْحَظ الحسن, والخطّ الأحسن والتعبير الأغنّ والخاطرة الأحنّ , وقد وقعتْ عَلَى أَعْتَابي نُصُوص منثورة مبهورة لكاتبةٍ مستجدة معدودة من الهواة الثقات, فحبكتُ ما قرأتُ لها وسَطَرْتُهُ على جادّة سويّة وأنقصتُ وعدّلتُ وصنعتُ ما قرّت به عيني دون شَيْنِهَا, بل وألقمتُ لها نصوصًا مُنَجَّمَةً من كِيسِي تعينُ النجم على التوائهِ في عُنُقِ السماء ليكونَ للقارئِينَ عِبْرَةً وعَبْرَةً ووضاءة وخُبْرَة, حَتَّى قُلْتُ شِعْرًا:

هذا الصَّنيعُ كَدُّ اليَدِ
هَذَا الرَّضِيعُ مُجْدٍ لِغَدِ
هَذَا الوَلِيدُ مُهَيْمِنٌ فِي السِنّ لَكِنْ
سِرُّهُ فِي أَحْرُفٍ مِنْ أَبْجَدِ.

كتبه الأستاذ محمد فريد بن لحسن المجادي

مقدمـــــة

لاَ يَسَعُنِي فِي مَقَامِي هَذَا إِلاَّ بَذْلَ الشُّكْرِ لِنَفْسِي, ثُمَّ أَعْطِفُ عَلَى مَنْ حَبَانِي اللهُ قُرْبَهُمْ وَجِوَارَهُمْ , مِنْ أَبِي الشَّهْم قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ , وَأُمِّي المنَاضِلَة , وَبَعْلِيَّ الوفِيّ, وَأَكْبَادِي الأَرْبَع, وَأَحْفَادِيَ الأَحْرَار ,فَهُمْ سَبَبٌ فِي نَشْأَةِ وَبُزُوغِ مَوْلُودِي الأَوَّل.

لَمْ أَعِ جَدْوَى مَا خَطَّتْ يَرَاعِي إِلَّا لَمَّا أُخِذْتُ عُنْوَةً فِي **حَضْرَةِ أُسْتَاذِي الأَجَلُّ المبَجَّل السيّد محمد فريد بن لحسن المجَّادِي,** حَيْثُ أَزَّنِي وَأَعَزَّنِي بِحُسْنِ تَوْجِيهِ وَأَقَامَنِي مَقَامَ الخَنْسَاء بِلاَ رِثَاءٍ فَلَهُ مِنّي مَوْفُورَ الثَّنَاء.

إِلَى حَضَرَاتِ السَّادَة القُرَّاء: هَاذِي خَوَاطِرُ وَسَوَانِحُ وَحِكَم, بَعْضُهَا سَهْلَةُ الذَّوْق, وأُخْرَى عَصِيَّةٌ سُقْتُهَا مُرْسَلَةً لِمَنْ رَامَهَا.

بقلم الصاعدة سعاد بنت بُوهَا حسن غديرة

إِصْرَارٌ فِي قَرَارٍ مُتَأَخِّرٍ

أَقْلَقَنِي الزَّمَان, رَمَانِي في أَيْدِي الأَقْدَار المتلاطمة , غَيَّر لِي المَكان ,أَبْعَدَنِي عمَّن وهمتُ عِشقَهُ, وَصَارَ كالحبِّ الصامت, ضَحَيَّتُ بصِغري وسعادتي ؟ هل إنسانٌ ذاك هُو الذي بدون إحساس أو وجدان؟ أنا في قلب من أَسْكُنْ؟,ذاك السكن بلا عنوان, عُمُرُهُ بين أرضٍ وسماء ,يصعد بتعاطف وحنان , لكن عسيرٌ عليه النزول ,وتعود بكَ الأقدار بعدما تصبح في سِجِلِّ الكبار العجائز تتساءل ما هذا؟

يقال : تلاقتِ الأرواح وليستِ الأعمار, تبدأ السعادة في شيئ جميل بسيط ,يصنعه الإنسان يبدعه, صنعنا سعادتنا حلّقنا بها إلى السماء , عِشْنَاهَا, هي مُؤَمَّلُنَا وهدفنا, حَطَّتْ طائرتنا التي ركبناها, بُرْجٌ عاجِيٌّ مُحَاطٌ بورود غير مُلَوَّنة ,نوافذه زجاجية بيضاء, بابه بأدراجٍ ليسَتْ عادية.

تدرجتُ فيه , اكتشفتُ تَسَاءلْتُ, بحثتُ, ودّعتُ الأحزان ,كانت بعيدة عن الأنظار, محاطةٌ هناك بالأمن والأمان, شاسعٌ فيه الخيار ,أشْتَمُّ رائحة الطيب هناك ,تسافر بي رائحته إلى مالا نهاية, جِلْسة شاعرية , هادئة, فيها المحادثات الخالية من النشوبات الخاوية, فنجانُ قهوة وسَط طبق فِضّي ,طعمها يفوق الوصف بيانه, وهنا تكمن السعادة, مع من يصغي إليك سَلِسًا, يَعِيكَ ويَفْهَمُكَ, قوته في صمودك, هذا هو من يساندنا ويحاذينا, يخصص أوقاته لنصائح ثمينة ,صبره وجَلْدُهُ حتى نَسْمُو بذاتنا :هو حافزنا, يخامرنا الفضول : ألا يكون هو قدرنا المحتوم المكلوم بمرضه .

هَوَسُ الطُّفُولَةِ

تشكّلَتْ أعمارنا في شكل بَالُونَاتٍ غير ملونة

منها ما ثَقُلَ وَ مِنْهَا مَا هُوَ بَاقٍ في الانتظار

لِيَدُورَ في فلك الحياة دورته الصغيرة

ومنها مَا طَارَ بَعِيدًا ,ذاك هو أعمار الصغار

تحليقه سريعٌ في الهواء. لِخِفَّتِهِ

خفيفةُ الوزن بيضاءُ نقيّة, هامَت حاملة أحلام الطفولة والبراءة

والألعاب, تجسيد أدوار التمثيل مع الأتراب, باتت ذكريات حلوة

,نَحِنُّ إليها بسماع أنشودة أو نغمة

أين دميتنا الصغيرة ؟ و تلكم الألعاب الكثيرة ؟

صنعناها بأيدينا و أناملنا

هل ولَّت تلك السنينُ ولن تعود ؟

وهَوَسُ اللَّعِب له حدود ؟

لا يحقُّ إن كَبُرْنا أن نلعب ونجري ونركض

وللقطع المبعثرة أن نركب رغم مرضنا الخفيّ ؟

ولتركيبها فرحة عامرة ؟بها نمرح ؟

أو دبٌّ من الفرو الرخيص رَطْبُ اَلْمَلْمَس

,نعانقه بين إخوانه نسابق

هل يسخر منَّا كلُّ منْ حَوْلَنَا ؟

أم يجاملونا تجنبًّا أن يُغْضِبُوا حضرتنا

وحضرة الفيلسوف المريض

هنا نخْتَار حقًّا مع أفكارنا

حين نَهِمُّ باقتناء لعبة في يوم عيد ميلاد غابَ بَعْدَ نِصف قرن

العيب ليس فيها ولا في مُنَاوِلِهَا

الوَصْمُ في عقد قِرانٍ مُؤَمَّلٍ.

مَلَلٌ قَائِمٌ

مِلْتُ إلى الوحدة
اخترتُ العزلة
هجرتُ الكتابة قهرا ودهرا
أسئلة عدة لم أجد لها جوابا
قلبيَ أسيرٌ والعُمْرُ قَصِيرٌ
إلى أين المصير ؟
مع مَنْ بِدَاخلي حقير المعنى
عِشْقٌ يَتِيِمٌ من ضمن المستحيل
طال بي المدَى
لم يسأل عنّي أحدا ؟
وصدى الروح ينادي خافتًا
بعيد مداك يا هذا

عاد أَدْرَاجَهُ من حيث أتى

لماذا أتى ولماذا انسحب ؟

وأين مضى ؟

وتَرَكَ الروحَ تبكي انتحابا

ماضيةٌ أيامك أيّها الشهر الفضّي

تاركا صمتا أصمَّ عندي

هذا البُرْعُمُ قد بدأ يظهر

الآن حان أوانه وبانت سيقانُه على استحياء

إن كَبُرَ وتَفَتَّحَ لمن أَقْطِفُه يا قدرُ

كنْتَ منذ أيام عندي يا وردُ

رأيتكَ جاثما حزينا متخفيا

حينها فيكَ الشِّعْرَ أنشدتُ

هل بقدومكَ يا برعم

سحابنا ينقشع؟

وغيمة به تندفع

غيثٌ ينهمر منقطع

شعور الربيع مع أرذل العمر.

هو أنا

نِدَاءٌ لِقَدَرِي

يا من صعدتَ مكان القمر

هل أنتَ فعلا مبتسمْ

أم أنّك منّي تسخرْ

أتيتك بالورد في باقته

أوراقه ممدوة محدودة

رافعةً إليك الرأس والبصر

تُحَدِّقُ بلا ماء ,عجبا؟

هل سَتَنْزِلُ أَمْ تُحْجِمُ عَنِّي؟

هل ستنزل و تأخذه مني؟

أم سيبقى الورد عندي؟

وردتكَ و وردتي

أقطفهم بدموع تجري

وتبقى أنتَ حِذْوَ القمر

في بُرْجِكَ العالي

لا يليق بكَ إلا هناك

حيث ألمحكَ وأراكْ

بعد إن أصعدتني إليه

ثم منه جذبتني

لو كنت تدري يا قدر

وقتُ إنزالي لم يحنْ بَعْدُ

ذاك اللباس الجديد الأبيض الناصع

لم يَعُدْ على مقاسي السابق

ضاق من الأَذْرِع والكُّم

اتَّسَعَ من الأعناق والنَّحْر

خَلَعْتُه مَرَّاتٍ

وَأَعَدْتُهُ كَرَّاتٍ

خَبَّأْتُ سَوْءَتِي فيه

حال صعودي للبرج

خِفْتُ انْكِشَافَهَا وسقوطي

هل أصعدُ ولا أبالي

أم أُنزلُ أثقالي

سأناضلُ وأُحارب

سأسعى و أُوَارب

لن أبكي , سَأُجَرِّب

حتما لن أندم

قد ندمَ البيت والذهب

أريد المال لِأَسْكُنَهُ

أريد العَقْدَ لآكله

فَرَحٌ بِالمَطَرْ

تلك المطرْ النعيمُ المنتظَرْ

أضحَتْ تنهمرْ

انفلق وجه الصبحُ بلا شَمْسٍ على غير عادته

نعمة من كرم الربِّ العظيم

هل يَصْرِفُ له المرءُ الحمدَ العميم

انقشعت السحب : غيوم رمادية تفرُّ بلا علّة واجبة

عيونٌ أفاقت مبتهجة تبصر بالشوق

هل البرعُم زاد تفتحًا تَرَنُّحًا ؟

بات يرتوي من قُطيرَاتِ المطر

متسائلة هل ترك الغيث من أثر ...؟

نعم

على الأوراق الخضراء دموعٌ صامدَةْ

كأنَّها الزجاج بعدما تَهَشَّم

صَلْبَةٌ على الأوراق لا تنهمر

تراب تَبَلَّلْ كَيْ يَبعث برائحة غريبة

بالمطر تَعَلَّلْ

أَنْفٌ هُنَا استرق الشمَّ خِلْسة

شيء ما هناك يعود بي

لحنين الصّغر

عَبَقُ الأجداد هنا ينفجر

بعد ارتواءٍ مكتمل

تحدُثُ الثمرة تَصِلُ الخُضْرَةُ

تنطلق من الأرض لتنتَعش القلوب

تفرح الأعين

تغيظ الألسن

تبيد الأحقاد ولو مرة

أليستْ من حكمة المطر غسل الأَدْرَان

جَفَّتِ السماء منذ أن أيقظني أحدهم
عليكِ واجباتٌ حتى الممات

يتيمةٌ أنَا

مِسْكِينَة

مُكَاشَفَةٌ فِي خَمْسينَ عَامٍ *

{فلسفة امرأة متصابية}

ارتبطت حياة الإنسان وبرزخه عامة بالأقدار التي يحيطها الرب الكبير المتعال بعنايته , فَيُسَيِّرُهَا على نحو ما يرضيه .

لكن كُلُّ ما يُضْنِيك في عيشك, ويصنع معك أحداثا ملمة مدلهمة:

هو وَلِيدٌ جَدِيدٌ يسمّى ابن القدر الرباني المسمَّى بالقدر المحتوم .

والتحريج هنا لا محالة لازم في صرف النظر للمذكور الأخير, فهو مزيجٌ بين شُخُوصٌ من صميم واقعي المرير ,وآخرون مُنِيثُ بفقدهم ,أَوْ هُمْ شَخْصِيَّاتٌ نَسَجْتُهَا وَحُكْتُهَا في مصنع خيالي غير آبهة .

فلستُ هنا أَعْني أحدا أو أُلَمِّحُ سَرْمَدًا ,إنمّا أحقق أحلاما أو طموحاتٍ غيرُ مرجوة , فخيالكَ هذا يسافر بك إلى أبعد الحدود ,كُلُّ هذا مِنْ صُنْعِ أقلامك تَرْسُمُهُ على حياء. فوق دفاترك بدون جواز سفر أو تذكرة عبور : كل هذا بين السطور .

آمرك أن تُفَجِّرَ مشاعرك المكتومة من بقايا صغرك لا تلقي لهم بالا...

ما كان عيبًا قبلُ ,أصبح حلالا زُلاَلًا ,لا تتردد في اقتناء هدية لنفسك تدلِّلُها.

لا تلتفت للعمر حينها فيمكنك اللهو بألعاب حرمت منها قديما

إيَّاك أن تخجل من تلك الهوايات أو القناعات .

إياك أن تُحْبِطَ عزائمك أو تنثني عما عاهدت نفسك عليها ,في ذات ليلة ممطرة في سقف بيت ناء , تُسْكَبُ العبرات على بعض أوراقي, فيأتيها آت يسترقُ منها النظر, كأنَّه جَآنٌّ يصعد إلى فضاء أرْحَبٍ يُشْهِدُ الغرباء عليَّ.

مضت سُنُونٌ صعدتُ فيها برجا عاليا , فيه الشروق باديا ,هزمتُ خوفي وتوجسي ,تركتُ المال وسطوة تخزينه في رفوف الثياب الخاص بي .

سئمتُ انتظارَ رجوعهم ,لأُوصِدَ الباب ,لئن عجزتُ عن تحقيق المُرام فلا أقلّ من العبث بالأوهام, فمنذ طفولتي وأنا لا أَصِلُ لما أريد , وإنْ وصلتُ فمنهكة من تعب الأعمال الشاقة في إطعام كبد جائع وإعانة بعل غير قانع.

فما القدرُ الذي يجعلني أفرح ,وكأنَّنِي أريدُ أن أَصِلَ لأستريح

أستريح فقط من عبء الخمسين :

رقمٍ مَهول

مصير محفوف

قدر معروف

مرض مألوف

هو سِنّيَ المتقدم به أقدم وأُصْدَم .

ثمرة عفنة

أَطَلَّ طَيْفُهنّ ,تَجَدَّدَ الشوقُ والحنينُ ,تَعَمَّقَ الجرح من جديد .
صُراخٌ صامتٌ بالداخل ,حسرةٌ وأنينٌ , على سرعة مضي السنين.
هروب هنا من واقع , هو مرير : هل كان فعلا كذلك يوم الملاقاة ؟ تغيَّرت الموازين , احْتُجِزَتْ الأَمَاكِنُ ,انْسَلَخَتْ بِسِكِّينٍ, صَرَخْتُ بِأَعْلَى صَمْتٍ ,أينَ هي؟ من تكون ؟ أين مكانها ؟ بعد هاته السنين من العناء الطويل والحرمان المرير, والآن من أَحَقُّ مِنْهُنَّ بالقبلة على الجبين؟ قاطفاتُ الثمار؟ أم الأرض الحاضنة على مدى السنين .
هنا وفي هاته اللحظة بانت ابتسامة طافية بليدة , لا أعرف هل هي محتشمة أو نابعة من تَصَدُّعٍ داخلي , أو تُرَوِّج للاستهزاء المبطن فحسب , أو ربّما ترمز إلى فقدانِ أَمَلٍ تائه ضَائِعٍ : إنه هنا القدر الذي جُعِلَت فيه النعم نقما ,وإن بدت كغيث نافع زائف.

تسرّبت مياه تجري وسرعان ما تضمحل , وقطراتٌ تُخَزَّنُ في باطن الأرض وبذورٌ تُغْرَسُ في الأحشاء والأرحام البالية :

أحشاء أرض أو أحشاء حواء .

هناك من تغرس بأيادي مقدّسة طاهرة وأخرى بالدَّجل مدنّسة:

خواتيم متشابهة ,جذور مترامية تصبح براعم فتيّة.

تكبر وتتفتح أزهارا يانعة , غلالا متناسقة , ونبات مخضر يَحْتَضِنُ الأَرْضَ أَوْ أنثى البشر , ترعرعتْ وكبُرتْ تلك البراعم الفتية , وأصبحت شيئا عظيما جميلا , وآن القطوف لبعضها, والآخر نزعه محتمل من الجذور للعبور.

دخيلة ظهرت على الثمرة ارتمت ,بعدما ارتوت و انزوت من ظلم الطبيعة صارت المعاناة , لمن سقاها و رواها, احتضنها وكساها ,بالحب والخوف واللهو حباها , ليشتد لهم العود ويقيمون السِباب على سفود بلحم نَتِنٍ يُكترى من بائعات الهوى , وقد أتوهمّ احمرار الوجنتين أو الخدود بعد رضاها بالموجود, وسيلان الدموع .

احتضنته الدخيلة , اقتطعته من بين أيديها ,لا رجوع إلى الوراء .

ذاك هو السليم المرتقب في البشر , أناسٌ تحرث وتزرع ,وآخرون للحصاد فوزهم ونيلهم .

هكذا تقاسمت أدوارهم.

نظرتُ في يوم غير مرتقب , مَنْ حَضَنَتِ البراعم من البشر ذُهِلْتُ بالواقع , الرافع لثمراتها بين أيديها ,أمام أعينها ,ليسوا إليها بل هم أمامها صور تختلج, نضجوا قبل أوانهم , بلغت إليهم أيادي الخلق, أيادي كانت في العقد الثاني من العمر ,صاحبة الأحشاء أكبرهم, هنا رأيها معتبر ,فهل في الصبح مستقرّ ؟ أم حَرِيٌّ للخاطر أن ينكسر , بعدما أصبح أمرها لا يؤبه له يحتقر أو يؤتمر؟ , تنتصر هنا الدخيلات وعلى الله العوض .

الْتَفَتَتْ حولها بَصُرَتْ بهم ,لكن لم تجد عليهم ملامحها , لقد تكدسوا كرمال صحراء قريبة أو غابة عجيبة في كأس سراب يرجى انكساره, ربما تشققه الخَفِيُّ سَرَّبَ المِيَاه الآسنة في صفاء روحها المعتادة : هل أضحت عندهم مجرد صورة أم حقيقة مرّة ؟,ستستمر صَوْلَتُهم

في الأصقاع على خطوط حمراء محفوظة, وحريتها محجوزة تفتكها من بين أيديهم في عاداتهم وعقولهم وأسفارهم بلا جواز فهل من مزدجر ؟ ومع ذلك مُحَرَّمٌ عَلَيها حياتها تزهو وأحزانها تندثر... توهمتُ ذلكَ.

غِيرَةٌ مَشْرُوعَةٌ فِي قَرْيَةٍ مَلْغُومَةٍ*

مادام هنا القاضي سَكَتَ عَنِ الشَّكْوَى
ورام الهجرَ والسلوى
تغاضى القاضي عن الماضي
أراد التحديق في الحاضر
سرد التهم وألقاها
تلاها ,أحصاها
أليست آية صدقه
فيما اقترفت يداها
عَيَّرَهَا حَيَّرَهَا سَيَّرَهَا
أقام مداها
أصاب السهم رماها
على سِنِيِّهَا بناها

رفع مقامها فألقاها

ما ذنب العمر يا قاضي؟

ما جُرْمُ الصفح عن الماضي؟

عَيَّبَتْنِي هيئتكم الموقرة

بلحظةٍ مؤجَّلَةٍ

والأنظار مختلجة

والقلوبُ مُرْتجلة

هل يبرأ قلبي ومرضي أم تهمته مؤبَّدة؟

هل يبصر حرية مكبلة ؟

غابت المحكمة لبرهة

ليتداولوا آية براءتي

خرج المجلس المحقَّر

لفظ بحكمه المصغَّر

سَمِعَتْهُ من بيتي المعمَّر

أَعْرَضَ القاضي بوجهه

لم يُلْقِي بَالًا أو فكَّرْ

ارتفع مرضه وفُتِحَ قلبه بمنظَارٍ

بَكَيْتُ لِأَجْلِهِ : هَالَنِي المنظر

ليس لي إلا العويل المعبّر

الكُلُّ بَرِيءٌ حَتَّى السَّجَّانُ المُكَوَّرْ

اذهبوا أنتم طُلَقَاءُ قلبي

أغارُ عليهِ و ما عدتُ أَصْبِرْ

رُفِعَتْ الجَلَسَةُ....

المشْهَدُ الأَوَّلُ الخَجُولُ *

حدّثني فيلسوف في طريق وعرة:

ليس من الخفيّ أنّ المرجوّ من المحبة وقوعُ طرف القلب على نوع من الأسى يصيب فلا يخيب ,ولا يؤخذ بالمحبة في نظرة , بل ولا حتى ابتسامة مقرونة بلمحة عين سُكِبَتْ لها أهازيج مطربٍ شهير .

الحب على مذهب الأجداد القدامى :

- صَرْفُ قلب و لو كان مُتَيَّمًا ,فاليُتْمُ عارٌ عندنا .
- توجه عين إلى حكَّةِ رِمْشٍ يتحرك حسب الفطرة .
- صمتٌ مطبقٌ لأعضاء حياتية طالما عَمِلَتْ في غير جَدوى .
- بلاغةُ قول بلا تقعر .
- جزالةُ لفظ على السليقة .
- رِقَّةُ مَشْيٍ بَلْ وثب للظهور أو للضمور .

- سهولة مجاوزة عن الأذى والقذى.

- وغيرها من الأَمَارَاتِ المَرَضِيَّة .

فمن وصف لي جُرْعَةٌ منها , دَاوَيْتُهُ عند طبيب مشهور ,جَرَّبْتُه وَخَبَرْتُهُ فكان من الحاذقين .

هل عُرِفَ الطبيب المداوي ؟

كلاَّ لأنَّ حِمَارًا رَفَسَه وهو قادمٌ ليُلقي بِوَاجِبِهِ

في الحلقة القادمة يأتي مع طاقمه , فأَعِدُّوا لهم مَرْقَدًا لِيُغْمِضُوا فيه:

المشْهَدُ الثَّانِي السَّافر*

قدِمَ الطبيب مهرولا وقد أتى في ميعاده غير مباه ,خلع سُترته ليرتدي الحياء حيث وجد فيه مقاسه, لم يكن ضيِّقا بل فسيحا في جسده الجريح.

نظر إلى ممرضة قديمة تكبره ,حدَّق فيها مليّا ,فما راعه إلا أن أومأ إلى تجاعيد وجهها فبَهَتَ منها ,هو لم يُعِرْ ذلك بالا لأوّلِ وَهْلَة , ولا صَرَفَ نَظَرْ , وإنما تحديقه لِشَبَهٍ بينها وبين مكلومته.

قَدَّمَتْ له الإسعافات الأولية ,أَسْعَفَتْهُ بضحكة بالغة في الحسن والبهاء, عساها تُلْهِمَهُ رشده المفقود منذ أن لحظها بعينه اليسرى فالأخرى قد كثر ماؤها فعميت, لأجل عيون رجل حقير يطلق على نفسه "شَكُورٌ" , هل يعود سالما من هاته الحرب العشواء التي كان يخوضها في ردهات المشفى والمنفى؟

بدآ عملهما على أكمل وجه , أتمّاه وفرحا به ,لكن مع ذلك لم تَنْسَهُ وكيف لها ؟

رغم فداحة المنظر ودخول الطاقم معه , يُهَرْوِلُون لنجدة عائلة كادت أن تهلك من وباء فيه طلاسم معدية .

تَرَكَتْ كُلَّ ذلكَ وأعادت التحديق : هي كل ما ترجوه وتتمناه وتصبو إليه, هي أمنية لم تتحقق ولن تكون لها عيانا أو مناما ,هي مَحْضُ أَوْهَامٍ تَسَرَّبَتْ لها مِنْ السِرْدَاب ِالأُنْثَوِي.

ظلّت بعد فراغها من وَرْدِيَّتِهَا تمتم بهاته الأهازيج الملتوية الغريبة :

لا بُرْءَ فِيهِ   فَلَا يَشْفِيهِ

لا حُزْنَ فِيهِ   فَلاَ يُرْضِيهِ

لاَ هَمَّ فِيهِ   فَلَا يُطْغِيهِ

لَا عِشْقَ فِيهِ   أَنَا أُؤْوِيهِ

المشْهَدُ الأَخِير الغَامِض *

زُفَّ خبرُ نجاح العمليّة ,استبشرَ بذلكَ وَطَرِبَ له ,وتهَلَّلَ وَجْهُه فرحا , انتظرَ كلام الطاقم لِيَتَيَقَّنَ من ظَنِّه القديم ,قد خاب له من قبل لكن أناب واستعذب الصلح وأذاب كل حِقْدٍ مِنْ قَدَحٍ فِي فِيهِ حَالِكٍ.

سَمِعَ ضوضاء ,أطلَّ من نافذة المشفى فَلَمَحَ مُمَرِّضَتُهُ تقف أمام القبر ,وترفع أَكُفَّ الضراعة, تقول دعوات وصَلَوَاتٍ غريبة, لكن هاته المرة لم يَرَى دموعها المعتادة تُغْرِقُ جَنَبَاتِ المدْفَن حَتَّى يَسْتَفيقَ مِنْ تَحْتِهِ طَالِبًا الصَّفْحَ .

لَمَ يَتَضَجَّرْ مِنَ المشْهَد الأخير الدَّامِي , فأوانُ مشهده قد حَانَتْ :

الطاقم ليسوا أطباء ولا بياطرة , هُمْ أربعة لم تغمض جفونهم بعد:

أولهم فَتَحَ الجرح ,ثانيهم أَعَدَّ الرمح ,ثالثهم أَضْمَرَ الذَّبح, رابعم ذَرَّ الرَّمَادُ في المرقد .

والممرّضة هناك, لم تحترف يوما مساعدة الطبيب ,وإنما هي إجازة مؤقتة ,وقريبا يعود إلى عمله ,لكن بلا أجر ,وقد أخذه منقوصا وفيه جبر لضرر لن يزول ,ترى من المسؤول؟.

قد تفصح أنّ هاته قصة من نسج الخيال ,وأيّ تَشَابُهٍ في شخصيات الواقع هو متعمد , بلا شكّ.

هل يُسْتَطَاع فَكُّ اللغز ؟

كلا , فالتخدير لا يصلح إلا للمرضى الصغار ذوي البشرة السمراء .

فَزِعَ الطبيب وقد تَصَبَّبَ عَرَقًا ,لقد استيقظَ مِنْ كَابُوسٍ مُرْعِبٍ أزليٍّ, أفاقه صوتُ المنبه, وأزيز سيارة قديمة مركونة أمام بيت الأم المُتَحَيِّزَةُ .

"هنا تهد الفيلسوف وأقعدني في كرسيّ مكتبه ليرحل بي إلى مشفى قريب , لقد أمرضه نثر الحكم على جيفةٍ و رِمَمٍ ".

النَّدَبَاتُ الأَرْبَع في الرَّحِمِ *

أَقَمْتُ الحروف ونظمتها

في سلكٍ غيرِ مَعِيبٍ

تَهَجَّيتُهَا في عِقْدِ القِرَان

وَسَمْتُهَا باللؤلؤ والمرجان

زَيَّنْتُهَا كأميرة في جنان

أتبعتُها ,أشبعتُها أملا وحنان

سقط العِقْدُ مني فصرختُ

آه : يا ليته ما كان ....

حروفي الأربع

أنا المنبع

اسمعوا نطقي فيكم مُسَجَّعْ

واحمدوا القلم المُرَقَّع :

البُشْرَى الأُولَى *

بِكري ,ومُهْجَةُ قلبي
همزتي سليلةُ النّسَب
حسب رواية الجد المُرْتَقِبْ
رَسْمُهَا جديد عليَّ
وَجَلْتُ في مسكها
واستعمال أصول الهواية معها
فرحتُ لكونها الأولى المباغتة
عشقتُ منظرها وملحظها
أحببتُ مِشيتها خِطوتها ,سَطْوَتها
كم رمتُ عِزَّتها في نَبْضِ عَيْنَيْها الخافت
في مُقْلَتَيْها أَهِيمُ, فأنسى جراح القِرَانْ الهَافِتْ

هرولتْ أعوامُ همزتي

تشكَلَّتْ حركاتها

زاد إعرابها

أُقِرُّ بأنها عَصِيَّة على نطقي

لَسَيماَّ وقد تُوِّجَتْ بكلمة

جديدةٌ عليَّ ,غريبة ملامحها

تنَازَعْتهُا فنَزَعْتهَا

فَزَارَنِي القلم مُصْفِحًا

عما جرى ,كعادته لما يرى

وَهَالَنِي ما قد قيل فيه وَهَجَا

إيّاكِ همزتي

مَنْ رُمْتُ حنانها وأمانها

في كِبَرِي

سأستندُ على الهمزة الثانية

فالميلُ وشيكٌ .

الأَخْضَرُ الوَهَّاجُ *

لونها أَخْضَرُ وعليها فتحةٌ غليظةٌ أخاذةٌ
توحي لها بالجمال الجذّاب
وإن كانَتْ متبوعةً في نشأة خطِّها بنكبتها الأولى
فَقِدَمُ الألم يوشك على الفصلِ بينهما
لم تؤلمني قط في مهدها بل ولا في مَلحظها
طيلة هاته السنين الطوالِ العِجَاف
هي لُمْعَةُ القلب وَجَوْهَرِهِ
هي الرصينة مَلْمَسًا
الحكيمة تَدَّعي بلا عقل أو سبيل
لها حلمٌ دفينٌ في الوصول إلى أصقاع أخرى
حيث لون الثلج الناصع و ذلك الدخان إيّاهُ اللاّمع

من شرفةِ نافذةٍ مُطِلَّةٍ على سَفْحِ جَبَلٍ خَجُولٍ بالبياض

ويساند لوني حرفٌ من لُغَةٍ أُخْرَى

جديدٌ يقال سعيدٌ

لا أخافه لكن أُكَاشِفُهْ

لا يرفعُ عقيرته أمامي

إلا فيما ندر !

همزتي كُتِبَتْ في دفاتر أخرى

لقد سَمحَ لها بذلك

والآن عادتْ لِرُشْدِهَا

آمُلُ لَهَا حظًّا أَوْفَرْ

في الصَّحَارِي

النّكْبَةُ الثالِثَة *

كُسِرَ ضِلعي كحواء عندها
جَفَّ الريق الرطب معها
احترق الكبد من أجلها
استعارها أحدهم
فبقيت عندهم حتى يبس المَنبت والقلب
فلما أردتُ سقياها رَمَتْ بالماء وهي في المهد
أخشاها كَهْلاً يُستعصَى ويُستغلق ويَستنكر
لا أنكر بهجتي بها بعد مضيّ أخواتها
لكن لِمَ تكذب فتشهد من حولها أني أكرهها
أنا أنقم عليها حِدَّتِهَا بلا صنيع وشدّتها كوضيع
لكن لي أمل في أن تُنصَرَ يوما
على نفسها وأنفاسها ونفوسها.

رُتْبَةُ المُلاَزِمِ الأَوَّلِ *

هي السهلة المرِحَةُ
هي الموصومة بالدَّلاَلْ وتعير به من أولاد الأحبة
وحُقَّ لها ,أليس آخر العنقود في شجره أعذبه؟
هي من لاَزَمَتْنِي عند دخولي القلعة رغم "العُيون"
هي من زاملتني لمَّا رُمْتُ الفسحة لأجل توصيات المجنون
هي الموعودة بحروف أُخَرْ
في نُصُوصٍ أَجَلِّ
هي من أبهجتني برقم فيه صَخَبٌ
أنا عليَّ صقلها ونقلها
وأنا عليّ تقليم أطرافها حتى لا تغترَّ فتهلك
وأنا عليَّ رعاية الحبّ فيها فلا ينضب

وإن لم يُعِنّي أحدهم عليها

لدواع صحية سببها كلمة قبيحة أزليّة

فدعائي أوفر حَظٍّ لها .

القَاضِي في حَبْسِ الغَرَام

تَخَاصَمْتُ مَعَ قَاضِي الغَرَام

فَصَارَ خَصْمِي

بَعَثْتُ لَهُ شَكْوَايَ مُدْمِعَة

فَحَوَاهَا لَمْ يَكُنْ لِغَاية

إلا ليكونَ هو شكْوَايَ

نَظَرَ لَهَا ثُمَّ بَصَقَ عَلَى يَسَارِهِ حيَاء مِنْ ضَمِيرِهِ

عَادَ لَهُ رُشْدهُ بَعْدَ فَوْرَةِ غَضَبٍ عَابِرَةٍ

لَكِنَّهُ مُحِقٌّ فِيهَا

فَلَهُ دَوَافِعُهُ وَنَوَازِعُهُ : أليست من خانته عافيته؟

تَقَدَّمَتْ الجَانيةُ صَوْبَ مَكْتَبِ المحامي الغيور

لِتُدْلِي بِدَلْوِهَا وَتُؤَدِّي حُقُوقَ العِبَاد

فَرُغْمَ فَدَاحَةِ الملف إلا أن الشكوى عَالِيَةُ الخُطُورَة

تهمتكِ : الشروع في الحُلْمِ
وَعُقُوبَتُكِ بُكَاءٌ طِيلَةَ العَام والدهر
فإن انقضى عام تَوَارَاتْ أَعْوَاْم
أخذتُ الكلمة بعد سماع الشهود وأتوا بالحقود
ورأيتُ والقاضي , كيف نَقَضَ العُهُود
وتفوّه بالبذيء المنشود
طلب الإذن للكلمة فهاج وماج ينبح مُحْتَجًّا ومحتاج:
يا قاضي لا تعريف لحرف اللام في اسمك
ألم تصفح عني عند المغادرة بقبلة على الجبين
قال القاضي : يا ... لقد كانت هادرة
أخرجوه فلا سجن له عندي إلا أصفاد مقلتيه.

****

كفكفتُ دمعي حتى لا أَضْعُفَ أمامه
فَيُلْقَي بِهِ فِي غَيَاهِبِ المشافي المُظْلِمَة تشبه السجن
هو ليس بمعصوم لكنه محرومٌ

مِنْ نَزْعِ فَتِيل التَحَفُّظِ

ليقول لكلّ أبلَهٍ وَ أَحمق مَا لهُ وما عليه

قُمْتُ مُسْرِعَة عَلَى صَوْتِ أمِّي المناضلة تناديني :

أنْ أدّي حقَكِ عليّ فالسَّنَدُ قَدْ قُبِضَ

وَلاَ عَوْنَ بَعْدَهُ إلاَّ بِك

فَكُونِي مِعْطَاءَة

وَلاَ تبْرَحِي الدَّكَّان

فِيهِ مَا كَانَ

وَأَعُودُ إِلَيْهِ لأِكْلِ الحَلْوَى

شكرا أمّي...

مِنْ ذِي الحسَبِ إلَى بِنْتِ النَّسَبِ*

"أكتب آملا في شيء غريب المعنى والمبنى , و ماهذا إلاّ بعضٌ منه, أو هو شعورٌ به, ولا يكون عادة إلا ستارا أو غبارا على القلب يمنعه من البصيرة الحقة ,فإن كان لازما فإسداله أولى ,وإن وقع الثاني فزواله أحرى. "

هذا حديث آخر لفيلسوف من أقصى شمال قارّتي السمراء سمعته منه مباشرة ,في زيارة مرخص لها في مكتبه على تلك الطريق الحِزاميّة المعبدة.

بدأت البوح أمامه والشَّيْبُ الذي على شعراتي خيمّ على صوتي فامتزج بصدق غير مألوف , فقلتُ :"حدثَ أن عانقتُ في صِبَايَ آمالاً شتّى, وتمسّكت بها حتّى تيقنت بقاءها ,فلا هي بالأمل ولاهي با لخالدة.

لقد آنستُ وحشةَ في صدري في محبّة غيري ,حتّى صيرها الله قبولا في أعين من حولي, فهل تراها كرامة؟ كلاّ.

قتلتني أحلام اليقظة أكثر من أوهام المنام لأنّ الأولى صرفها عاجل والأخرى قربها وَابِلٌ ,إنّي لا أملك قلبا يسع أحدا ,وإنّما أسعى لقلوب تعي حقائق وجودها .

لا أكتب تشاؤما لأنّ بضدّها تعرف الأشياء, ولم أعرف ضدّا لتشاؤمي هذا فلا أُوسَمُ بغيرها عليها , ولن أبرح شهوة ساعة بدمعة يَوْمٍ عَلَى فِراقِ أَمْسٍ و وَجَلٍ مِنْ غَدٍ.

مُكْنَتِي في التعبير جديرة بالتنويه , على أساس تفرّقها عند من حولي , وإن كانوا جُدُدا في معرفة قيمة الفلسفة ,وروعة الفلاسفة خاصة رجال الدين منهم بلا تعميم سخيف.

لَسْتُ شَاعريّة ولا غزليّة ولا عذريّة , أنا بورقِيبِيَّةٌ العرق, والبربر لا يُحبُّون إلاَّ من وَحْشَةِ بِقَاعِهِمْ فما أوحش مكاني .

فَوَارِقُ الأعمارِ من أَمَارَاتِ الأَسْرَارِ, وتحقيقها في تنميقها وتَرْقيقها ولم لا: تلفيقها.

هنا تعقبني حضرة الفيلسوف مزمجرا:

" ما قَتَل الفؤاد قلبه وسيّده إلاَّ من فرط إسرافه في عشقه لمحبه

أَوَ هَلْ يكون للحكمة أولى وأجدر: صَعْبٌ الفهم هنا...

فقدان مرارة طعم الحياة ليست حزنا أو حدادا ,إِنَّهُ نمط عيش, وحَظٌّ سَيْرٍ, وقَدَرٌ مَحْتُومٌ: فاهربي...

ما سلكَ مريدٌ طريق معلمه إلاَّ ليعلم أنّ السبيل هو الحقيقة المطلقة , وأنّ الدلالة من الحكمة الحزن, و السرّ في الصبر والجلد.

الكَمَدُ لفراق عزيز من قرابة دَمٍ كَخَالٍ أو جَدَّةٍ ,أَصْلُهَا ثابت وفرعها في العينين: دموع تسيل ,فلا تميل إلاّ بمرورُ دهرٍ و اغتنامُ أجر و إقبالُ عُمْرٍ , ومن حازها حينها أكون له مريدا, ويكون لي هو قطبًا سالكًا ,حوله يجتمع أرسطو في مدينتنا غير الفاضلة .

أحوال العارفين بالدنيا , تبدأ بالتجديد فالتحديد ثمّ التسديد.

فئامٌ مِمَّن خالطتهم دَهْرا أُقْسِمُ أنَّهم لو جَاوَرُونِي , ما تجاوزوا نعلي فهما وحِنْكَةً , ولِمَ لاَ طيبةٌ مُزِجَتْ فَعُجِنَتْ مَعْرِفَة : وهذا غرور مبرور.

دُروب المواجهة مع الخصوم تتطلّب مُكْنَة في النظر, وحدّة في الصرف عمّا بدر, والسعي في جبرٍ عمّا كُسِرْ.

أيتها السيدة "الحكيمة" : العقل الأنثوي لا يكون بالحُمْرة العصماء ولا بالهالة السوداء ولا بأمارة الفتنة الوهجاء , أو الخرقة البيضاء, على النحور الطيبة ,إنَّها في كلّه مع رضى السماء.

ما ستارٌ رُفِعَ إلاَّ بأَمْرٍ, وما أُسْدِل إلاَّ بعُمْرٍ: وقد انقضى الأجل بصرع المحتضر, فلا تلقين هنا وَ بَلْ و لادفن :إنّه الرماد المنثور في غياهب الضلوع التي لولا "الأسد القلب" لخرج مولّيًا .

هل تحسبين أنَّ هاته خواطر عُنِيتُ بسردها على حَدِّها وبكَدِّها ,صَرَفْتُ عَدّا غير مبال بل مُبَاهٍ في مَدِّهَا وسَدِّها بل قَدُّها أحرى,

فهل نحن : ربَّما ؟

فهاكِ من نسل الأَكابر ذوي الضمائر:

وعليكِ السَّلام حتى المقام

وعند القبور ويوم الزّحام

ويومَ نلاقي شخوصا نِيَامْ

نمرُّ عليهم مرور العظام
فهل بعدهم يَحِلُّ الصّيَامْ
عن الحبِّ والعشق وكل الهُيامْ
سلامٌ , سلامٌ, سلامٌ, سلامْ
ما هذا بالشِّعْرِ وَلَكِنْ يرامْ
سَفْك المعاني وَ عَذْبَ الكلام

الوَالِدُ الزَّاهِدُ وَالرَبُّ الشَّاهِدُ*

دخلتُ غرفته, أُمسِكُ بظفائري الطويلة ,لَمَسْتُ كتفه باكية ,فَمَا تجرأْتُ قَبْلَهَا إِلَّا الآن ,لأنَّ صَوْته في بَيْتنَا قَدْ خَفَتَ مُنْذُ مُدَّةٍ ,ولم يشأ أحدهم إخباري بما يدور في خَلَدِي من هَوَاجِس ,لكن لا برهان لي .

صعدتُ فوق سريره العالي ,أعدتُ النظر مليّا ,قرّبتُ كفّي من أنفه المستطيل ,لأتيّقن من بقاء شريان الحياة فيه : عيناه شاحبتان ,جِلْدُ وِجْنَتَيْهِ قد آثر الالتصاق بالعظم ,الأمر غير مطمئن .

ركضتُ لغرفتي أَنْحِبُ وَأُطِيلُ وَأَبْكِي وَأصْرِفُ أَلْوَانَا من العويل ,كلُّ هذا فَقَطْ كَانَ فِي دَمْعَتين حارَّتَيْن يتمتينِ مِثْلِي , انذرفا إيذانا بالمصيبة العظمى .

أفقتُ ذلك الصباح عَلَى صُرَاخٍ نِسْوِيٍّ رُغْمَ وَصِيَّتِهِ لي بالوقار في الأحزان ,دخلتُ رغم الحراسة المشددة , تمرغتُ في جَنَبَاتِ الكَفَنِ المُسَجَّى ,خاطبته بعاميّتي المعتادة:

"يا بابا"

سمعتُ صوتا مناديا يجيب : نعم بُنَيَّتِي .

صُدِمْتُ مِنْ نَبْرَةِ الرَدِّ فَهْيَ غَيْرُ مُعْتَادَة ,وَالصَّوْتُ فِيهَا غَيْرُ مُعَافَى ,لَكِنْ فَرِحْتُ لَهُ, وَكَزْتُ نَفْسِي بِقَرْصَةٍ مُؤْلِمَةٍ, تُرَانِي أَحْلُمُ ,لاَ, فَأَصْوَاتُ الْمُقْرِئِينَ تَدْحَضُ حُجَّتِي , تِلاَوَاتهُمْ لِسُورَةِ يس~ لاَزَالَ لحنُهُمْ الجَمَاعِي فِي أُذُنِي, أَكْمَلُوا سَرِيعا كَمَرَضِ أَبِي ,ثُمَّ أَعْطَوْا الإِشَارَةَ بِخُرُوجِ التَّابُوتِ المَلَكِي مِنْ قَصْرِهِ لِيُشَيَّعَ إِلَى مَثْوَاهِ الأَخِيرِ, وَقَفْتُ مَعَ جُمْلَةٍ مِنَ النِّسْوَة وَإِحْدَاهُنَّ تُمْسِكُ بِذِرَاعِي وَالأُخْرَى بما تَبَقَّى مِنْ جَسَدِي البَالِي يُرِدْنَ مَنْعِي مِنَ اللَّحَاقِ بِالرَّكْبِ وَالموْكِبِ ,لَقَدْ رَأَيْتُ فِي هَذَ المَشْهَدِ الأُسْطُورِي كَيْفَ لِكَبِدٍ فِي الأَحْشَاءِ يَخْرُجُ لِلْعِيَانِ لِيُشْهِدَهُمْ عَلَى احْتِرَاقِهِ وَتَفَحُّمِهِ فَيَبْكُونَ عَلَيْهِ لاَ عَلَى أَبَتِي , لَمْ أَنْسَ أَطْوَارَ تَغْسِيلِهِ, وَصَوْتُ فَتْحِ بَابَ غُرْفَتِهِ التِي تَحَوّلَتْ إِلَى مَرْتَعٍ لِلضُّيُوفِ الغُرَبَاء المبعُوثِينَ بِمُهِمَّة تَطْهِيرِ الجَسَدِ للقاء السَرْمَدِي, رَائِحَةُ البَخُورِ المنْبَعِثِ مِنْ هُنَاكَ تُصِرُّ عَلَى المُكُوثِ فِي وِجْدَانِي رُغْمَ مُضِيّ ثَلاَثَة دُهُورٍ وَنَيِّفٍ ,لَمْ أَشَأْ نَزْعَهَا ,لَكِنْ لِمَ كُلُّ هذَا .

أَكْمَلُوا الخَتْمَةَ, المَعْهُودَة , وَ ابْتَدَؤُوا فِي الأَدْعِيَة المُرَتَّبَةِ, حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ :"اللّهُمَّ ارْزُقْ أَهْلَهُ جَمِيلَ الصَّبْرِ وَالسُّلْوَان ,هُنَا أُغْمِيَ عَلَيَّ, ولم أَسْتَفِقْ إلاَّ وأمّي تَرُشُّنِي مُرْغَمَة ,بماءِ زَهْرٍ قَدْ صَنَعَتْهُ مُنْذُ مَرَضِي أَبِي الأَوّل . أفقتُ لاَ محَاَلَةَ ,وَعُدْتُ غَيْرَ آبِهَةٍ لحُزْنِي الأَبَدِيّ, فَهُوَ الذي أَحِنُّ إِلَيْهِ, كَمَا يَحِنُّ جَسَدِي لِتَمْرِيغِهِ عَلَى أَعْتَابِ الكَفَنِ البَالِي.

ذهبتُ للقَبْرِ, أَلْقَيْتُ عَلَيْهِ محَبَّةٍ مِنّي وَأَغْرَقْتُ جَنباتِهِ بِفَيْضِ دُمُوعِي حَتَّى خَشِيتُ انهِيَارَهُ ,فَهُوَ عَلَى شَفَا جُرْفِ قَلْبِي الُمتَيَّمْ , وَفجْأَةً أَسْمَعُ هَاتِفًا يُتمتم بِكَلَامٍ غَرِيبٍ, نظرت يمنة ويسرة فلم أرى إلاّ بعض "المقريّا" يؤدون واجبهم المهني على أحد الأموات الجدد, زاد الصوت إيّاه حتى عرفتُ من ترنيمته أنه "بَابَا", طأطأتُ الرأس لأكون مصغية غير مبالية بوضعيَ الجديد: **"{آه بنيّتي ,أعياني الشوق لك حتى أماتني بعد موتَتِيَ الأولى ,فابكي على أبيك مرّتين , مرّة في الصِّبَا وأخرى تبقى كاللَّظى تحت الأرض وفوقها , لقد فرحتُ لكِ في غيابي كبهجتي بكِ عند يوم قدومكِ الأغرّ, لقد كنتُ أواظبُ على زيارة حفدتي الأبرار كلّما سنحت لي فرصة في منامٍ قصيرٍ, وتلوتُ عليهم محبة ومودة لاشكَّ أنها**

هي التي يُصَرِّفوُنَهَا في حياتهم تلك, لم أبخل بدعواتِ لكِ من بَرْزَخٍ بعيدٍ رجوتُ قبولها , لكن أضناني طول بكائك عليّ ,منعنِي وقيَّدنِي لم يمهلني حتى لأمسح آثار ماء الزهر الذي وُضِعَ لي قُبَيْلَ الاحْتِضَارِ الشهير, إيه بنيّتي لن أتمنى بك اللحاق هنا حتى يحلَّ رَكْبُكِ من ذي الجلال والإكرام ,سأبقى أتنظر كما ظللت ثلاثين سنة ونيّف , هنا يُجْمَعُ شَمْلُنَا وأحدثكِ عمّا وجدتُ وتحدثينني عمّن فقدتِ بعدي ...}".

خَفتَ الصوت فجأةً لأحُلَّ ظَفَائِري عَلَى القبرِ المسيّج... , لم أبكِ هاته المرّة, فَاليَتِيمَةُ قَدْ كَبُرَتْ وَأَنْجَبَتْ وَاجْتَازَتْ امْتِحَانَ سياقةَ مَرْكَبَةٍ رَدِيئَةٍ ,لَمْ تَكْتَفِي بِذَلِكَ, لَقَدْ أَضْحَتْ جَدَّة خَمْسِينِية وتنتظر في كل زيارة لحضرته أن يقدم بصوته عَسَاهُ بِمَلْحَظِهِ في يَقَظَةٍ لَا مَنَامٍ.

يرحمك بابا .

نِهَايةُ المَطاف

لقد أزفَ الرَّحْلُ بِقَافِلَتِهِ , وَفَنِيَ البَّذْل الشَّغُوف فِي مَطَبَّاتِ الحَيَاةِ وَ تَجْلِيَةِ الخَوَاطِرِ, وعَزَمْتُ بعدها عَلَى امْتِطَاءِ صَهْوَةِ جَوَادٍ فيه سَحَابٌ غَيْرُ مُمْطِرٍ, أَرْعَدَ فيه بَرْقِي وَجَفَّ مَعَهُ عِرْقِي ,وَالغَيْثُ فِي خَطِّي يُنْذرُ بِمِيعَادٍ.

لَمْ يَكُنْ هَيِّنًا بُلُوغِي مَطْمَعِي هَذَا, إلاَّ بِمُكَابَدَةِ جبَلٍ أَشَمَّ فِي حقْلٍ لُغْمٍ أَصَمَّ , وَلَكِنْ رَبِحْتُ الرِّهَانَ مَعَ صَاحِبِ القِمَمْ.

لَنْ يَكُونَ هذا القمر بازِغًا فِي هِلَالِهِ فقط , سَتَعْقُبُهُ نُجُومٌ أُخَرٌ لَنْ تَأْفُلَ حَتَّى أَمُوتَ .

وَإِنَّ غَدًا نَاظِرُهُ لَقَرِيبٌ

انطباعات القارئ الملهمة

....

....

....

....

....

....

....

- ....